

جولة فى ربوع أفريقيا

من الثلاثاء ٧ ذى القعدة سنة ١٣٨٧ هـ حتى الاثنين ٢٦ رمضان سنة ١٣٨٨ هـ

الموافق ٦ فبراير سنة ١٩٦٨ م حتى ١٦ ديسمبر سنة ١٩٦٨ م

غادر القاهرة فى رعاية الله وحفظه وعونه وتأيدته صاحب الفضيلة مولانا العارف بالله السيد محمد الحافظ التجانى رضى الله عنه ليلة الثلاثاء ٧ ذى القعدة ١٣٨٧ هـ الموافق ٦ فبراير ١٩٦٨ م الساعة الواحدة والنصف صباحاً بالطائرة إلى السودان ، لزيارة أصحابه وإخوانه وتلاميذه فى القطر الشقيق بناء على الدعوات المتكررة التى وصلتته من أهل الفضل والعلم والولاية من مختلف البلاد ، حيث مضت مدة طويلة لم تساعده الحالة الصحية على زيارتهم .

وقد منَّ الله عليه بالشفاء وأسبغ عليه نعمة العافية ، فكان أول ما بدأ به هو تلبية هذه الدعوات الكريمة الصادرة من القلوب المفعمة بالإيمان ، العامرة بالحب والإخلاص لله ولرسوله صلى الله عليه وسلم ، ولشيخنا رضى الله عنه .

كما تلقى فضيلته عدة دعوات من السادة الأفاضل العلماء الأعلام زعماء الدين والطريق فى نيجيريا والسنغال ، ويرجو رضى الله عنه أن يتمكن من تحقيق رغبتهم بزيارة بلادهم للتعرف على أحوال السادة التجانيين هناك ، وهى أمنية طالما تافت نفسه إلى تحقيقها .

وفى عزمه أيضاً التشرف بزيارة سيدى أحمد التجانى رضى الله عنه بالزاوية التجانية الكبرى بفاس المحروسة بالمغرب الأقصى .

حقق الله له ذلك ، ورافقته السلامة أينما حل ، ونفع به الإسلام والمسلمين فى مشارق الأرض ومغاربها ، فهو رحمة الله تعالى المفاضة على العباد فى هذا العصر المادى .

وقد جاءنا من السودان أن مجلس السيادة الموقر أقام لفضيلته حفل تكريم باعتباره أحد الأئمة الداعين إلى الإسلام المشهورين فى السودان وفى أفريقيا .

كما أقام الأستاذ أحمد التجانى على يس عمار حفل تكريم لأعضاء مجلس السيادة وجماعة من السادة الوزراء وقاضى القضاة شكراً لهم على حفل التكريم الذى أقاموه لفضيلته .

وقد زار فضيلته مدينة شندى للتعزية فى وفاة السيد عبد الكريم السيد رحمة الله عليه .

كما اشترك فضيلته فى العزاء فى فقيد الإسلام الزعيم الدينى الكبير شيخ الطريقة والحقيقة الحسينى السيد مولانا السيد على الميرغنى .

وقد أرسل السادة التجانيون بالقطر المصرى برقية عزاء إلى الخليفة السيد محمد عثمان هذا نصها :

السادة التجانيون بمصر ينعون ببالحزن والأسى شيخ الطريقة والحقيقة الزعيم الكبير الحسينى السيد مولانا المرحوم السيد على الميرغنى ، ويقدمون لأسرته الكريمة وللسودان الشقيق خاصة وللعالم الإسلامى عامة خالص العزاء ، سائلين المولى جلت قدرته أن يتغمد عزيزنا الراحل بواسع فضله ورحمته وينزله منازل الأبرار المقربين .

محمد الحافظ التجانى

ثم غادر فضيلته الخرطوم فى يوم الأربعاء ٢٢ ذى القعدة سنة ١٣٨٧ هـ الموافق ٢١ فبراير سنة ١٩٦٨ م قاصداً الأراضى المقدسة للتشرف بحج بيت الله الحرام وزيارة المصطفى صلى الله عليه وسلم ثم العودة ثانية للسودان .

فنزل بجدة وقام منها إلى المدينة المنورة عصر يوم الجمعة ، وفى الطريق زار شهداء بدر وسيدى الحاج على حرازم خليفة الشيخ سيدى أحمد التجانى رضى الله عنه المتوفى ببدر - مؤلف كتاب جواهر المعانى - ووصل المدينة قبيل منتصف الليل ونزل بدار سيدى محمد اللقانى بسقيفة الرصاص بجوار باب السلام .

وأقام بالمدينة المنورة حتى يوم الاثنين ٥ الحجة سنة ١٣٨٧ هـ الموافق ٤ مارس سنة ١٩٦٨ م حيث غادرها وأحرم بالحج إفراداً من ذى الخليفة ، وفى يوم الثلاثاء قام من جدة قبل الغروب إلى مكة ، وبعد أداء مناسك الحج والعمرة بقى بمكة إلى يوم الجمعة ٢٣ الحجة ١٣٨٧ هـ الموافق

٢٢ مارس ١٩٦٨ م حيث غادرها إلى جدة ، وبقي بجدة مدة وعاد إلى مكة يوم الجمعة ٢٩
الحجة الموافق ٢٨ مارس .

ثم غادر جدة يوم الأحد ٢ محرم ١٣٨٨ هـ الموافق ٣١ مارس ١٩٦٨ م الساعة السابعة
صباحاً قاصداً بور سودان بالسودان لزيارة أولاد المرحوم الحاج مسعود محمد ذلك الرجل الخير
وتعزيتهم فى وفاة والدهم ، وزيارة السادة التجانيين هناك وغيرهم من أصحابه وأحابيه ،
فوصل بور سودان فى الساعة الثامنة صباحاً ، وكان معه فى نفس الطائرة بعض إخواننا من
السودان الذين كانوا معه فى الحج وهم الحاج صالح ثابت ورفاقه .

وكان فى استقباله بالمطار بالسودان أولاد الحاج مسعود الحاج عبد الله والحاج عمر وغيرهم
ونزل ضيفاً عليهم ، وبقي ببور سودان إلى يوم الأربعاء ٥ المحرم ٣ أبريل حيث غادرها بالطائرة
إلى كسلا ونزل بدار الشيخ التجانى محمد ملىح التجانى ، وهناك زار السيد الحسن الميرغنى
والشيخ محمد أحمد العباس ، وفى ٨ محرم سافر إلى أروما وتندلاى ووقر وعاد فى نفس اليوم .

ثم غادر كسلا إلى القضارف يوم الاثنين ١٠ المحرم ٨ أبريل ونزل بدار الأستاذ إبراهيم سعيد
الجعفرى الحسينى نسباً مفتش الحكومة المحلية ومنقول منها معتمداً بدار المساليت بالجنيته ، وأعد
له الحاج إبراهيم موسى التاجر بالقضارف وخليفة السادة الختمية سيارة طوال مدة إقامته
بالقضارف ، وزار هناك الحاج موسى محمد عثمان والشريف مصطفى محمد البرقوى ووالده
الحاج محمد البرقوى الذى أخذ عنه الحاج محمد عيساوى وكثيرون ، وزار مكتبة الشيخ محمد
يوسف علقم .

ثم سافر مساء الخميس ١٣ المحرم ١١ أبريل ليلة الجمعة إلى السوكى ونزل بدار الشيخ بشير
محميد ، ومن سوكى سافر بالسيارات يوم السبت ١٥ محرم ١٣ أبريل إلى سنار المدينة ونزل
بمنزل الشيخ الباقر أبو أذنين .

ومن سنار زار حلة دار هاشم وفيها قبر الشيخ محمد مودى ، ثم منها إلى مايرنو وزار السلطان محمد الطاهر وعمه عمر باسمبو ، كما زار ديم المشايخة ودار السلام ، ثم عاد إلى سنار فى نفس اليوم ١٦ محرم ١٤ أبريل .

ثم سافر إلى سنار التقاطع يوم ١٧ المحرم ١٥ أبريل والرصيرص يوم ١٨ المحرم ١٦ أبريل ، ونزل بمنزل الشيخ محمد محمود الضوى وأصله من بربر وأصلهم من إسنا بقنا وجدهم الشيخ الضوى صاحب المسجد المعروف باسمه فى إسنا وهم أقرباء الشيخ عبد الحميد الضوى رحمه الله وكان عالماً عاملاً وهو مقدم الطريقة التجانية وأخذ عنه الكثيرون ومنهم الشيخ يس أبو المجد هميمى مقدم الطريقة التجانية الآن بإسنا ، وزار فضيلته القاضى الشرعى وأنجال السيد الهادى ابن السيد الصديق بن السيد عبد الرحمن المهدي ، ثم عاد إلى سنار يوم الأحد ٢٣ المحرم ٢١ أبريل وأعطى التقديم إلى على إسحاق على من حلة البير من ضواحي مايرنو وكذلك أبو بكر عبد الله سعيد .

ثم سافر من سنار إلى كوستى يوم الاثنين ٢٤ المحرم ٢٢ أبريل ، ثم إلى أم روابة يوم الثلاثاء ونزل بمنزل الحاج عثمان محمد صالح ، ثم إلى الرهد يوم الأربعاء ونزل بمنزل الشيخ مصطفى موسى وأخيه مختار ، وصحبه من أم روابة فى السفر إلى الرهد الحاج محمد على عبد الرحيم وإبراهيم الجعلى وجبريل بن الشيخ محمد صالح أحرش التجانى وهو عالم مدرس للعلم والقرآن .

ثم سافر من الرهد إلى الأبيض يوم الخميس ٢٧ المحرم ٢٥ أبريل ووصلها الساعة الثانية عشر ليلاً ونزل بدار مولانا الشريف الحاج محمد طه التجانى ، ثم سافر إلى بارا يوم السبت ٢٩ المحرم ونزل بمنزل المرحوم الشيخ جعفر الدردير واد دوليب ، ثم سافر فى نفس اليوم إلى خرسي ومنها إلى الأبيض ثانياً يوم الأحد ٣٠ محرم ٢٨ أبريل وأعطى التقديم فيها لجماعة من الإخوان .

وفى يوم ٣ صفر أول مايو ألقى محاضرة أذيعت بالإذاعة من أم درمان ، ثم سافر منها يوم الخميس ٤ صفر ٢ مايو إلى مدني ومر في طريقه بالرهدة وأم روابة والغبشة وواد عشاننا وتندلتي وكوستي وسنار ، فوصل مدني الساعة الواحدة ليلاً ونزل بمنزل الحاج محمد عبد اللطيف وهو منزل مولانا الشيخ يوسف بقوى ، وبقي بمدني إلى يوم الأحد ٧ صفر ٥ مايو ، زار خلال هذه المدة أحبابه وأصحابه ، ومنهم صاحب الفضيلة مدثر البوشى والسيد مضوى الحاج والدكتور فيصل على سعيد صبره ، وغيرهم كثيرون .

ثم غادر مدني إلى الخرطوم في الساعة ٧ مساء الأحد ٧ صفر ٥ مايو ، فوصل الخرطوم الساعة ٣ صباحاً .

ثم زار يوم الثلاثاء ١٦ صفر ١٤ مايو عطبرة ونزل بمنزل الحاج فخرى عبد الله ، ومن عطبرة توجه إلى قرية كوباس يوم الأربعاء ١٧ صفر ١٥ مايو فى ركب من السيارات مع أصحابه الذين حضروا معه من الخرطوم تلبية لدعوة الشيخ أحمد الجعلى ، وفى الطريق توقف بمسجد حلة الفيش وشاهد آثار سيدنا السيد محمد بن المختار وكان فى استقبالهم خليفة الفيش الأستاذ محمد عبد الماجد وصلى بها الظهر ، ثم واصل السفر إلى كوباس وقابلهم الشيخ أحمد الجعلى وأنزلهم بدار الضيافة ، وبعد الغداء وبعد صلاة العصر قام إلى مدينة بربر عن طريق معدية الباوقه وودعهم الشيخ أحمد الجعلى وآله وأهل البلدة ، وبعد صلاة المغرب عبروا النيل ووصل بربر ليلة الخميس ونزل بمنزل الحاج صالح ثابت ، وهناك زار مولانا العلامة صاحب الفضيلة الشيخ مجذوب مدثر الحجاز نائب مدير الجامعة الإسلامية بأم درمان وتناول عنده الإفطار صباح الجمعة ١٩ صفر ١٧ مايو ، وصلى الجمعة بها وألقى درساً بعد الصلاة ، ثم زار بعض أصحابه ومنهم السيد خليل بشير مفتش البساتين بالمديرية الشمالية وأخذ الطريقة التجانية ، وتناول الغداء عند الحاج عبد الماجد محمد مجذوب .

ثم سافر من بربر يوم الجمعة ليلاً إلى عطبرة ثانياً ، ثم قام من عطبرة يوم السبت ٢٠ صفر ١٨ مايو الساعة السابعة والربع صباحاً إلى شندي فوصلها الساعة ١١ ونصف ونزل بمنزل المرحوم السيد عبد الكريم السيد .

ومن شندي زار المتمة يوم الأحد ٢١ صفر ١٩ مايو ونزل بالزاوية التجانية وكانت من زمن سيدنا السيد محمد بن المختار ، وأحضر لهم أحد الأحاب طعم الإفطار فى الزاوية بعد أن خرجوا منها وحلف عليهم لابد أن يفطروا بها ، وهناك زار الحاج السيد الشفيح وكان ولده ملازماً لسيدنا ، ثم رجع إلى شندي فى نفس اليوم وسافر مساء لزيارة سيدى محمد بن المختار مستأذناً للسفر إلى بلاد المغرب وعاد ثانياً فى نفس الليلة .

وفى يوم الاثنين ٢٢ صفر ٢٠ مايو سافر من شندي الساعة الواحدة والثلاث مساءً إلى الخرطوم فوصلها الساعة السادسة والربع .

وكان فى كل مكان نزل به يقابل بكل ما ينبغى من إكرام وحسن وفادة .

ثم بقى فضيلته بالخرطوم وأم درمان إلى أن غادر السودان من الخرطوم بالطائرة الساعة ١٠, ٤٠ مساءً يوم السبت ١٢ ربيع أول سنة ١٣٨٨ هـ - ٨ يونيو سنة ١٩٦٨ م إلى لاجوس عاصمة نيجيريا ، وكان وداع فضيلته فى مطار الخرطوم مظهراً من مظاهر ما يكنه أهل السودان جميعاً لفضيلته من محبة واحترام ، وما انطوت عليه قلوبهم العامرة من حسن اعتقاد وإخلاص ومروءة وشهامة وخلق نبيل .

وقد رافق فضيلته فى سفره ستة من إخواننا التجانيين بالسودان من مشايخ الطريق وعلمائها وأهل الخاصة منها ، وهم مولانا الشريف الحاج محمد طه التجانى شيخ الطريق بالأبيض والشيخ مصطفى موسى زين العابدين من مقدمى الطريق وعلمائها بأم درمان ، والشيخ يوسف بقوى من العلماء وشيخ الطريق بمدنى ، والشيخ صديق عباس من علماء أم درمان ومقدميها ، والشيخ محمد طاهر يوسف من خاصة الأحاب ، والشيخ محمد الحبيب من علماء وقر وهو

الذى كان له شرف ملازمة سيدنا فى تنقلاته بأرجاء السودان فجزاه الله خيراً وبارك فيه وفى أهله وأولاده .

وقد وصل فضيلته لاجوس فى الساعة ٦ مساءً ، وكان السيد سفير السودان بنيجيريا فى استقباله بالمطار ورغب أن ينزل سيدنا ضيفاً عليه - وهو رجل الكرم كما هى شيمة أهل السودان جميعاً - فشكره سيدنا ورأى أن ينزل عند أحد السادة مقدمى الطريق ، فنزل عند الشريف عبد المجيد محمد فى ضاحية أجهجهى من ضواحي لاجوس وأصله من كانو واستقر به المقام فى لاجوس ، ونعم الرجل هو فقد رعى أولاده تربية إسلامية عربية خصوصاً ولده الكبير محمد الصغير ، وله أولاد كثيرون بارك الله فيه وفى أولاده ونفع به الإسلام والمسلمين .

وقد زار فضيلته بعد ذلك المقدم الكبير فى الطريق الحاج حمزة وقد أكرموا سيدنا ورفاقه وسرُّوا بهم كثيراً ، وزاره واجتمع به إخواننا فى الطريق هناك وكثير من العلماء .

ثم غادر لاجوس بالقطار فى الساعة العاشرة من صباح يوم الاثنين ١٤ ربيع الأول ١٠ يونيو قاصداً كانو فوصلها فى الساعة العاشرة والنصف من مساء الثلاثاء ليلة الأربعاء بعد ٣٦ ساعة سفر ، وكان الأحباب التجانيون فى انتظاره ، كما تفضل أمير كانو الحاج آدم بن المرحوم الحاج عبد الله بايرو فأرسل أخاه الأمير أبو بكر وابن أخيه الأمير آدم بن الأمير السنوسى ليكونا فى استقبال فضيلته ، وقابله كذلك الشيخ التجانى عثمان الذى رغب أن ينزل سيدنا عنده ، ولكن أمير كانو أرسل أخيه وابن أخيه وسيارته الخاصة ورغب أن ينزل سيدنا فى قصره مع رفاقه ، فنزلوا ضيوفاً عنده مدة إقامتهم فى كانو ، ووالد الأمير وأسرته كلهم تجانيون ، وأخوه الأمير السنوسى شيخ فى الطريق ، وقد أكرم الأمير سيدنا غاية الإكرام .

وقد اجتمع فى كانو بالحاج عبد القادر أبو بكر كوجنه سفير نيجيريا فى السودان والسعودية وزاره فى داره ، ولنعم الرجل هو تتمثل فيه المروءة والشهامة وكل مكارم المسلم الحازم ذى

الهمة والرأى العملى ، وكان قد اجتمع به سيدنا فى موسم الحج فى بيت الله الحرام وفى جدة ، كما اجتمع ببعض أبناء مولانا شيخ الإسلام الشيخ إبراهيم انياس .
وزاره وتوافد عليه السادة العلماء والتجانيون وغيرهم لسماع وعظه وإرشاده ودروسه والتلقى عنه ، وبقي بها أسبوعاً .

ثم غادر فضيلته كانو يوم الاثنين ٢١ ربيع الأول ١٣٨٨ هـ ١٧ يونيو ١٩٦٨ م ، وأعد له أمير كانو السيارات اللازمة لسفره وأصحابه ، وأعد لفضيلته سيارة خاصة لراحته وودعه إلى مسافة ٩ كيلو مترات من كانو مقر إمارته ، وأناب عنه أخاه الأمير أبو بكر وابن أخيه الأمير آدم فى وداعه إلى إمارة كاتسينا حتى حدود نيجيريا ، كما رافقه أيضاً علماء كانو وأعيانها والمقدمون من إخواننا التجانيون والأمير أبو بكر حتى وصلوا إلى بلدة مرادى من بلاد النيجر على حدود نيجيريا ، ونزل ضيفاً عند حاكم الحدود محمد الحبيب وهو تجانى .

ثم ركب فضيلته الطائرة من مرادى إلى نيامى عاصمة النيجر ، وعاد علماء كانو وأعيانها بعد أن ودعوه ، جزاهم الله خير الجزاء .

وفى نيامى حاول السفر إلى دولة مالى لزيارة سيدى الحاج عمر بن سعيد الفتوى رضى الله عنه ، فلم يتيسر له ذلك لعدم وجود سفير لها فى حكومة النيجر .

فركب الطائرة إلى واجادوجو عاصمة فولتا العليا ، ومنها إلى أبيدجان عاصمة ساحل العاج ، والتقى فى أبيدجان بمقدمى الطريقة وبعض أحباب الشيخ رضى الله عنه الذين جاءوا إلى المطار ومكثوا معه طول اليوم إلى أن سافر بالطائرة إلى دكار عاصمة السنغال هو ورفاقه ، ولم يكن لديهم تأشيرة دخول لعدم وجود سفير للسنغال بنيامى عاصمة النيجر ، فنزلوا بمطار دكار ليلاً وسلمت جوازات سفرهم للشرطة الذين أخبروه بأنه يستطيع دخول المدينة لأن بها سفير مصرى ولكن ليس عندهم سفير للسودان فرفاقه من السودان ينتظرون بالمطار إلى أن يأذن لهم ، فأخبرهم فضيلته أنه لا يترك رفاقه ، وبقي بالمطار معهم إلى الصباح ، ثم نزلوا المدينة جميعاً فى

الصباح ، ولم يكن أحد يعلم بقدمهم لأنه عند سفرهم من أيديجان لم يكن معلوماً لهم موعد قدوم الطائرة ولا موعد قيامها ، ولا يعلمون إن كان بها مقاعد خالية لهم أم لا لأنها قادمة من باريس ، ولذلك لم يعلم إخواننا في دكار بموعد وصولهم .

توجه فضيلته إلى دار كبير التجانيين وشيخ الإسلام مولانا الحاج سعيد بن الشيخ النور بن سيدى الحاج عمر بن سعيد ، وقد جاوز المائة وما زال في صحة جيدة وهمة عالية والله الحمد والشكر ، وقد تلقاهم تلقى الوالد الرحيم لأبنائه الذين غابوا عنه ثم رجعوا بعد غيبة ، وعانق سيدنا ثم التفت إلى أصحابه وقال لهم : هذا ولد الحاج عمر بن سعيد هذا ولد الحاج عمر بن سعيد ، وأخذ يكررها ، وأخذ بيده وأدخله داره .

ثم أعد لهم منزلاً ، ثم رآه لا يكفى فى راحتهم فأعد لهم منزلاً غيره ، حتى أنزلهم فى دار العالم الصالح الجامع للمكرمات الولي المحبوب الشيخ عبد العزيز سى بن الحاج مالك سى شيخ الديار السنغالية فى عصره الجامع بين الشريعة والحقيقة ، وهو معروف مشهور من كبار أهل الفتح فى طريقنا المشرفة .

وزار فى دكار سيدى محمد الحبيب بن سيدى محمود بن سيدى البشير حفيد شيخنا رضى الله عنه ، ولا تسأل عما شملهم به من إكرام ، وأقام لهم حفلة كبرى دعا إليها خاصة الأحياب ، وما ترك وجهاً من وجوه الإكرام إلا وغمره ورفاقه بفضله ، والمكارم هم أهلها وأحق الناس بها .

وظالما تاقت نفس سيدنا السيد محمد الحافظ التجانى رضى الله عنه من زمن بعيد لزيارة أمير المؤمنين سيدى الحاج عمر بن سعيد الفتوى رضى الله عنه سلطان الدولة التجانية بغرب أفريقيا، الذى استشهد فى عام ١٨٦٤م بعد أن حارب الوثنيين وأسس دولة إسلامية ما لبث أن تكالب عليها الاستعمار وأعوانه ، وقد كتب سيدنا رضى الله عنه كتاباً عن تاريخ سيدى الحاج عمر بن سعيد وجهاده ومحاربه لأهل الكفر وتأسيسه الدولة الإسلامية ، وهو تاريخ لم يكن معروفاً لأن

الاستعمار طمس معالمه حتى لا يعرف المسلمون في مشارق الأرض ومغاربها شيئاً عن أئمة الإسلام وعن جهادهم ومحاربتهم لهم ، ليعطوا صورة غير صادقة وغير آمنة عن المسلمين وعلمائهم ومشايخ الطريق خاصة وهم أئمة الهدى في كل عصر .

ولقد بذل سيدنا رضى الله عنه جهداً في الحصول على الوثائق والمستندات التى نشرها فى كتابه عن سيدى الحاج عمر ، وكان ذلك بفضل حفيده شيخ الإسلام وشيخ الطريق العلامة مولانا الحاج سعيد نور تال كبير بيت سيدى الحاج عمر أبقى الله حياته وأمد فى عمره السعيد ونفع به الإسلام والمسلمين ، وأصدقائه وإخوانه من علماء السودان والسنغال وشنقيط ونيجيريا الذين كتبوا إليه ما يعلمونه من تاريخ حياة ذلك المجاهد الكبير ، بعد أن أباد المستعمرون ما كتبه الأولون عنه رضى الله عنه ، فجزاه الله عن الإسلام والمسلمين خير الجزاء .

ولقد أتاح الله له الفرصة لتحقيق هذه الأمنية بعد أن وصل فى رحلته المباركة إلى دكار ، ولما كان الموضوع الذى استشهد فيه سيدى الحاج عمر فى جمهورية مالى والرحلة إليه شاقة وبعيدة فقد يسرها الله تعالى له من فضله وكرمه وذلك بهمة مولانا الحاج سعيد النور تال وسيدى محمد الحبيب حفيد شيخنا الأكبر رضى الله عنه والشيخ عبد العزيز سى والشيخ المنتقى ، حيث تكلفت حكومتا السنغال ومالى بنفقات رحلة سيدنا رضى الله عنه والوفد المرافق له من دكار إلى مالى .

وفى الساعة ٨ مساء الثلاثاء من ١٩ ربيع الثانى ١٣٨٨ هـ الموافق ١٥ يوليو ١٩٦٨م تحرك القطار من دكار بالسنغال إلى بماكو بجمهورية مالى يقل سيدنا رضى الله عنه وأصحابه المرافقين له ، وكان وفداً مكوناً من عشرة ، وهم الستة من السادة إخواننا من أهل السودان الذين صحبوا سيدنا من الخرطوم ، وثلاثة آخرون انضموا إليهم من دكار وهم العالم الأديب أبو المعالى السيد محمد عال بن فتى العلوى الشنقيطى والشيخ المنتقى بن أحمد بن المنتقى بن سيدى الحاج عمر بن سعيد وترجمانه الحاج كواتى وكان ذلك بأمر مولانا الحاج سعيد نور ، وبذلك

كان الوفد مكوناً من عشرة أشخاص باعتباره وفداً إسلامياً تجانياً جاء من المشرق لزيارة إخوانهم في بلاد المغرب .

ومكثوا مسافرين ليلة الأربعاء ويوم الأربعاء وليلة الخميس ، فوصلوا بماكو الساعة ٣ من صبيحة الخميس - بعد سفر ٣١ ساعة - قبل الفجر بساعتين .

نزلوا بماكو عاصمة جمهورية مالي ضيوفاً على حكومة مالي ، وقابلوا نائب رئيس الجمهورية وأولى الشأن في حكومة مالي ، وأعدوا لهم السيارات التي تصل بهم إلى زيارة سيدي الحاج عمر ابن سعيد ، وقاموا من بماكو الساعة ١١ من صبيحة يوم الجمعة ٢٢ ربيع الثاني ١٣٨٨ هـ الموافق ١٨ يوليو ١٩٦٨ م في سيارتين صغيرتين وسيارة كبيرة لاندروفر ، وصحبهم من بماكو الحاج عمر كرمكُ وهو المتولى للشؤون الإسلامية في حكومة مالي وهو مقدم في الطريق وله زاوية ، ومعه مدير التشريفات سعيد وُدْ ، والحاج عمر كرمكُ بن أحمد بن صالح بن أبي بكر حبي بن سعيد ، وأبو بكر حبي بن سعيد هو شقيق مولانا الحاج عمر بن سعيد .

وصلوا مدينة سيغو والناس في صلاة الجمعة الساعة الثانية ، فتلقاهم شيخ العلماء وشيخ الطريق الشيخ أحمد المدني بن الشيخ المنتقى بن أمير المؤمنين أحمد بن أمير المؤمنين سيدي الحاج عمر بن سعيد ، ورحب بهم وأخبر من بالمسجد بشأنهم ، ثم ألقى سيدنا رضى الله عنه كلمة ترجمها لمن لا يعرف اللغة العربية ، وفيهم كثيرون يجيدون اللغة العربية شعراً ونثراً ، ثم مضوا إلى المنزل عند الشيخ أحمد المدني ونزلوا ضيوفاً عنده .

ومدينة سيغو هذه هي التي كانت عاصمة علّ هويتلا الملك الجبار الذي تغلب على ما حوله من الملوك ، ولم يتغلب عليه إلا الإمام المجاهد سيدي الحاج عمر بن سعيد رضى الله عنه وكان علّ هويتلا وثنياً وملكاً على أمة مثله ، وكان واسع الجاه والثروة ، ثم صارت سيغو عاصمة لسيدى الحاج عمر بن سعيد بعد أن تغلب على ذلك الملك .

وزار فى المساء حاكم المدينة عبد الله وهو الوالى ، ورئيس الحربية الكولونيل دَرَبُو والطيب
الحاج باجى كَيْتَ .

وبعد صلاة المغرب ألقى سيدنا رضى الله عنه كلمة فى آداب الطريق وأصلها وشروطها ،
وزار بها والدة أمير المؤمنين أحمد وزوجته الأخرى عائشة المكية والشيخ أبو بكر حى شقيق
الحاج عمر بن سعيد ، كما زار قبر الشيخ المنتقى بن أمير المؤمنين أحمد المتوفى فى شعبان سنة
١٣٧٤ هـ ، ووالدة الشيخ أحمد المدنى ، وقبر ألفا أحمد والد الشيخ ألفا هاشم وهو شقيق الشيخ
عمر بن سعيد وأكبر منه .

ثم سافر منها صباح يوم الأحد ٢٤ ربيع الثانى ١٣٨٨ هـ ٢٠ يوليو ١٩٦٨ م بصحبة الوفد
المرافق بالسيارات ، وصلى الظهر والعصر بمدينة سَنَ ونزل بدار حاكم المدينة .

ثم سافر منها إلى مدينة مويتى ونزل بدار الحاكم وتناولوا عنده العشاء ، وقام بإكرامهم غاية
الإكرام هو والسيدة الفاضلة زوجته الدكتورة الحاجة بنت ابنة جلو وهى امرأة ذات خلق كريم
كزوجها بارك الله فيهما ، وانتقلوا بعد ذلك إلى فندق فخم بقرية سوارى للمبيت فيه .

وفى صبيحة الاثني الخامس والعشرين من ربيع الثانى ١٣٨٨ هـ ٢١ يوليو ١٩٦٨ م سافروا
إلى بنجقرا فدخلوها ضحوة وتلقاهم أمير البلد الشيخ قريش بن العاقب بن الشيخ عمر ، ثم
كان مقيلمهم وغداؤهم بدار الحاكم الحاج دمبَ جلو .

وبعد عصر ذلك اليوم توجه إلى جبل دقنبرى الذى استشهد فيه مولانا أمير المؤمنين الحاج
عمر بن سعيد رضى الله عنه وأبناؤه ، حيث دخلوا غاراً فى ذلك الجبل بعد أن اشتد بهم
التعب ينتظرون قدوم التجانى بن أخيه بالجيش ، فأرشد بعض القوم أعداءه إلى موضعه
فأشعلوا النار على فم الغار وسلطوا الدخان إلى داخله فتوفى الشيخ عمر مع بعض بنيه وخرج
وقاتل حتى استشهد .

وقد تركوا السيارات فى بنجقرا لأنها لا تستطيع السفر فى الطريق إلى ذلك الجبل ، وحملتهم سيارات لاندروفر إلى أن وصلوا إلى الجبل ، فصعدوا ومعهم الأمير قريش وجماعة إلى الغار الذى دخله واستشهد فيه هو وأبناؤه ، ورأوا الخندق الذى ملأه الأعداء تبناً وأوقدوا فيه النار حتى فاضت روحه رحمه الله تعالى ورضى الله عنه وأبناؤه وهم مكى والهادى والماحى ، ولما جاء الأمير التجانى البطل ابن أخيه انتقم لعمه وتغلب على خصومه وأعاد الدولة وأسس مدينة بنجقرا وجعلها عاصمة إمارته ، وجمع أجساد أبناء عمه من الغار الذى استشهدوا فيه وحملهم إلى بنجقرا ودفنوا بها ، وكان الأمير أحمد بن سيدى الحاج عمر فى سيغو .

وبعد أن زار سيدنا هذه الأماكن بذلك الجبل ودعا الله له ولإخوانه وللمسلمين عامة أن يؤيدهم بالعز والنصر وأن يعيد للإسلام مجده وعزه ، رجع إلى بنجقرا وتناول العشاء عند الأمير قريش أمير البلد وبات بها .

وفى صباح الثلاثاء زار الأمير التجانى البطل الذى انتقم لعمه .

وقد أراهم الأمير قريش الذخائر التى يحتفظون بها وفيها شعرات النبى صلى الله عليه وسلم جاء بها سيدى الحاج عمر بن سعيد رضى الله عنه من المدينة المنورة ، وكذلك سيف سيدى الحاج عمر ، كما اطلع سيدنا على بعض ما كتب من التحاصين والأذكار وأودعها عند الشيخ المختار بن وديعة الله وأمره أن يدفعها لابن أخيه الأمير التجانى .

وبعد صلاة العصر من ذلك اليوم سافر إلى كُنا وبات بها ، وفى الصباح زار الشيخ المختار ابن وديعة الله المدفون بجنب الطريق فى محل المعركة التى استشهد فيها سنة ١٣٨١ هـ بعد الشيخ عمر بعام ، ودعا الله عنده له ولإخوانه وأحبابه وزاره نيابة عنهم .

ثم عاد سيدنا والوفد المرافق له إلى دكار بالطريق الذى حضروا منه فوصل إلى مويتى وبات بها ليلة الخميس ، وفى صباح الخميس ٢٨ ربيع الثانى ١٣٨٨ هـ الموافق ٢٤ يوليو ١٩٦٨ م قام إلى سنّ ومنها إلى سيغو وبات بها ليلة الجمعة عند الشيخ أحمد المدنى ، وبعد صلاة الجمعة

ألقى درساً فى محبة الأولياء وزيارتهم وكرامتهم ، وزار زوجة مولانا الحاج سعيد نور وجدها هو الذى نصر الأمير التجانى على خصومه ، وفى الساعة السادسة مساءً سافر إلى بماكو ، وفى اليوم التالى يوم السبت عاد إلى دكار .

وقد نظم العالم الأديب جامع العرفان أبو المعالى السيد محمد عال بن فتى العلوى الشنقيطى الذى رافق سيدنا من دكار فى رحلته لزيارة سيدى الحاج عمر بن سعيد أرجوزة عن هذه الرحلة المباركة ذكر فيها أسماء الوفد المرافق لسيدنا والبلاد التى مروا بها والذين نزلوا فى ضيافتهم .

ثم زار فضيلته بعد ذلك سيدى محمد الحافظ العلوى فى موريتانيا ، وعاد إلى دكار ثانياً .
ثم سافر بعد ذلك إلى الدار البيضاء حيث وصلها الساعة ٥ ونصف مساءً الثلاثاء ٢٤ جماد أول ١٣٨٨ هـ الموافق ١٧ أغسطس سنة ١٩٦٨ م ، وقابله بالمطار الحاج محمد بن سالم الصائغ مقدم الطريقة فى الرباط ، حيث أرسل إليه سيدى محمد الحبيب حفيد الشيخ رضى الله عنه برقية من دكار فجاء من الرباط لمقابلتهم ، ولم تصل البرقيات التى أرسلوها إلى مولانا الشريف محمد بن عثمان العلمى وسيدى عبد الكريم سكيرج إلا بعد وصولهم بيوم .
وقد انضم إليهم فى الدار البيضاء الحاج أحمد الطاهر التلب والحاج محمد نديم من إخواننا بالسودان كانا فى أوروبا .

ثم زار بعد ذلك العلامة الأديب سيدى عبد الكريم سكيرج فى سطات ثم منها إلى مراكش يوم السبت ٧ جمادى الثانية ١٣٨٨ هـ الموافق ٣١ أغسطس ١٩٦٨ م لزيارة سيدى الفقيه الكنسوسى صاحب "الجواب المسكت" ، وقد رأى الشيخ رضى الله عنه وأخذ عن أصحابه ، كما زار سيدى الحاج أحمد سكيرج ، وسيدنا الشيخ النظيفى وشيخه سيدى أحمد محمود .
ثم من مراكش توجه يوم الأربعاء ١١ جماد ثانى ١٣٨٨ هـ ٤ سبتمبر ١٩٦٨ م إلى تعز الجديدة لزيارة سيدى الطيب الخليفة حفيد الشيخ الأكبر رضى الله عنه .

ثم عاد إلى الرباط وقد انضم إليه هناك ثلاثة آخرون من السادة إخواننا من أهل السودان وكانوا قد مروا بالقاهرة في طريقهم من الخرطوم إلى الدار البيضاء لمرافقة سيدنا عند زيارته لشيخنا الأكبر في فاس ، وهم السادة الشيخ سلامة عثمان والحاج أحمد الطيب والشيخ الكامل وقد قاموا إلى الرباط ، وانضم إليهم في الرباط الأستاذ أحمد التجاني على يس صاحب مؤسسة تجاني للسفر والسياحة حول العالم وهو من إخواننا من أهل السودان بالخرطوم وكان قادماً من أوروبا في سيارته الخاصة وحضر إلى فاس ولم يكن سيدنا قد وصلها بعد ، فسافر إلى الرباط وعاد مع سيدنا لزيارة شيخنا رضى الله عنه فوصلوا إلى فاس يوم الخميس ١٢ جماد الثاني ١٣٨٨ هـ ٥ سبتمبر ١٩٦٨ م ، وقد اشتد المرض بسيدنا في الرباط وبقي رضى الله عنه بفاس أسبوعاً ملازماً الفراش ثم عافاه الله .

وزار بعد فاس بعض البلاد ، وبعدها عين ماضى في الجزائر حيث وصل عين ماضى في ٥ أكتوبر ١٩٦٨ م ، ثم إلى تونس لزيارة الأحباب .

وبعد أن أتم فضيلته زيارة المغرب والجزائر وتونس سافر إلى بيروت بالطائرة يوم الخميس ٢٥ رجب ١٣٨٨ هـ الموافق ١٨ أكتوبر ١٩٦٨ م ، ومكث بها ليلة الجمعة ويومها ، واجتمع عليه السادة التجانيون وأحبابه وأصدقاؤه من السادة العلماء وغيرهم .

ثم غادرها الساعة ٩ مساء الجمعة إلى جدة ، ثم فى اليوم التالى أدى العمرة ليلة ٢٧ رجب ، ثم توجه للمدينة المنورة لزيارة سيد الخلق صلى الله عليه وسلم وبقي بها بضعة أيام ، ثم عاد إلى جدة .

ومنها إلى السودان يوم الأحد ٥ شعبان ٢٧ أكتوبر ، وقد سافر يوم ٢٠ شعبان الموافق ١١ نوفمبر إلى الأبيض هو والسيد الدكتور حسن عباس زكى وزير الاقتصاد المصرى الذى كان موجوداً بالخرطوم ، واستقبلوا فيها استقبالاً رسمياً وشعبياً ، وبعد أن مكثوا نحو ثلاث ساعات غادروها فى موكب حافل من السيارات إلى بارا لزيارة الأستاذ ظاهر شداد ومكثوا بها حوالى ساعة تقريباً ، ومنها إلى خورسى لزيارة الشيخ الدسوقى جعفر واد دوليب من أحفاد سيدى الخليفة واد دوليب من كبار العارفين من أهل الطريقة التجانية ، وبعد تناول الغداء على مائدة السيد مدير مديرية كردفان عادوا إلى الأبيض وباتوا بها ، ولم تنم المدينة فى هذه الليلة حيث اجتمع بهم السادة مشايخ الطريقة التجانية ، ومشايخ الطرق الأخرى وتلاميذهم وأتباعهم ، ونحرت الذبائح ، وأقيمت حلقات الذكر حتى الصباح .

وقام يوم الاثنين ٢٧ شعبان الموافق ١٨ نوفمبر إلى غرب السودان لزيارة الفاشر وما حولها من البلاد التى لم يتيسر له زيارتها ، والتى ألح أهلها على فضيلته فى زيارتهم ، وفى عزمه إن شاء الله تعالى العودة بعد ذلك للقاهرة خلال النصف الثانى من رمضان إن شاء الله تعالى .

وإننا نهنى سيدنا وإخواننا أهل السودان الذين تشرفوا بصحبته بهذه الرحلة الميمونة التى لن يسمح الزمان بمثلها ، حيث تمتعوا فى هذه الصحبة المباركة بزيارة عدة أقطار إسلامية تشرفوا بها بالتعرف والاجتماع بساداتنا مشايخ الطريق وعلمائها وأهل الشرف الأسمى الحسى

والمعنوى أحفاد شيخنا رضى الله عنه ، كما تشرفوا بزيارة الشيخ رضى الله عنه فى فاس
وغمرتهم أنواره وأسراره وتبركوا بآثاره ففازوا بالسعادة ، ولا شك أن الله قد اختارهم لهذا
الفضل والله ذو الفضل العظيم ، وكان خاتمة رحلتهم بأداء العمرة وزيارة المصطفى سيد الخلق
صلى الله عليه وسلم ، فهنيئاً لهم ، ونرجو أن يكونوا قد ذكروا إخواناً لهم كان بودهم أن
يكونوا فى معيتهم ولكن حسبهم العذر .

كما نزجى خالص التهئة المقرونة بالشكر الجزيل للسادة أهل السودان جميعاً ، التهئة على
عودة سيدنا إليهم لثالث مرة فى هذه الرحلة ، والشكر على قيامهم نحوه بكل وجوه الإكرام
وحسن الوفادة سواء فى ذلك رجال الحكومة أو الهيئات الدينية المختلفة ومشايخ الطرق
والسادة العلماء والسادة التجانيون ، ولاشك أن ذلك إن دل على شئ فإنما يدل على أنهم أهل
لكل فضل وكل مكرمة ، وأنهم أهل دين وخلق كريم ، وعلى إخلاصهم وصدق محبتهم ،
فجزاهم الله خيراً وبارك فيهم .

ولاشك أيضاً أن زيارة هذا العارف الربانى والعالم الجليل لهم وبقاءه طول هذه المدة ينتقل
فى بلادهم ويلتقى بهم وبعلمائهم والتفافهم حوله للتبرك به والأخذ عنه واستماع علمه
ومواعظه التى يفيضها الله عليه من فضله ، وهو الذى جمع الله له من صفاء العلم فى أعلى
مرتبة من الشهود الجامع لعلم اليقين وعين اليقين ، وصفاء العمل فى أسمى مرتبة من
الإخلاص ، وصفاء الحال فى ذروة الصدق والحب الإلهى والمحبوبة ، فهو رضى الله عنه نفسه
رحمة ووجوده بركة ورؤيته سعادة وصحبته حياة ، لاشك أن هذه الزيارة سيكون لها أثر كبير فى
تهذيب النفوس وصفاء الأرواح وتزكيتها والترقى بها فى مدارج الشريعة والبلوغ بها إلى أقصى
درجات المعرفة إن شاء الله تعالى .

وقد شرف فضيلته القاهرة يوم الاثنين ٢٦ رمضان ١٣٨٨ هـ الموافق ١٦ ديسمبر ١٩٦٨ م الساعة ٣ مساءً بطريق الجو قادماً من السودان .

وقد استقبله فى مطار القاهرة تلاميذه ومريدوه من السادة التجانيين وغيرهم ، وكانت فرحتهم برؤيته ولقائه لا تقدر ، وقد وافق تشريفه ليلة القدر ، ليلة السابع والعشرين من رمضان ، وقد أقامها كعادته رضى الله عنه فى الزاوية المباركة مع السادة التجانيين بتلاوة القرآن الكريم من أوله إلى آخره فى صلاة القيام فى جماعة كان يتناوب القراءة فيها إخواننا حفظة القرآن الكريم ، وتم ختم القرآن الكريم قبيل الفجر ، ثم بعد ذلك صلى بهم رضى الله عنه صلاة الصبح .

وقد توافد على بيته الكريم بالزاوية المباركة فى هذه الليلة الكثيرون من أحبابه وأصدقائه من السادة العلماء وغيرهم للتهنئة بالعودة ، وكل يصلى من القيام ما تيسر له بحسب طاقته ، فكانت ليلة مباركة بعودته رضى الله عنه وبليلة القدر المشرفة .

وتقام صلاة القيام فى الزاوية المباركة كل عام بتلاوة جزء من القرآن فى كل ليلة فتتم تلاوة الثلاثين جزءاً فى ليالى رمضان ، وفى ليلة السابع والعشرين يقرأ القرآن كله فى القيام فى هذه الليلة ، وبذلك يقرأ القرآن الكريم مرتين فى صلاة القيام فى رمضان ، وقد جرى العمل على ذلك منذ زمن طويل ، وهذا على غرار ما جرى العمل به بالزاوية التجانية الكبرى بفاس وبلاد المغرب .

وبعودته رضى الله عنه يكون قد أمضى فى رحلته المباركة التى بدأت فى ٧ من ذى القعدة سنة ١٣٨٧ هـ الموافق ٦ من شهر فبراير سنة ١٩٦٨ م ، ٣١٥ يوماً ثلاثمائة وخمسة عشر يوماً ، زار خلالها ثلاثة عشر قطراً من الأقطار الإسلامية ، هى السودان - الحجاز - نيجيريا - النيجر - فولتا العليا - ساحل العاج - السنغال - مالى - وشنقيط التى تسمى بموريتانيا - ومنطقة المغرب التى تتبع أسبانيا وتسمى ريودور - والمغرب - الجزائر - وتونس - ولبنان .

وكان طوال هذه الرحلة دائم الدعوة إلى الله تعالى وإلى التمسك بالكتاب والسنة ، وكان يلقي المحاضرات الدينية ليلاً ونهاراً أينما حل لا يبالي بالتعب وبالمشاق ومصاعب السفر ، ولا يحرص على طلب الراحة ، وإنما راحته في النهوض على قدم الجرد في الدعوة إلى الله ، ويجتمع عليه العلماء وغيرهم كل يسأل عن مشكلة دينية أو فتوى ، وهو رضى الله عنه ومتعته الله بالصحة والعافية لا يمل ولا يكل في الوعظ والإجابة على كل سؤال أو مشكلة أو فتوى بما علمه الله تعالى وما أفاض عليه من العلم اللدنى بما يبهر العقول ، مؤيداً كل أقواله بما ورد في كتاب الله أو في سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم وما جاء عن السلف الصالح والأئمة الأربعة ، فهو رضى الله عنه حجة في سائر العلوم الشرعية في الفقه والتوحيد والتفسير والحديث والتصوف ، وكانت تترجم محاضراته ومواعظه في نفس اللحظة إلى اللغة الأفريقية في البلاد التي لا يتكلم أهلها اللغة العربية ، ويقوم بالترجمة العلماء المتقنون للغة العربية ولغات البلاد .

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله ، وصلى الله وسلم على سيدنا محمد الفاتح الخاتم وآله وصحبه .
إلى إخواننا الأعزاء وأحبابنا فى السودان ، ونيجيريا ، والنيجر ، وفولتا العليا ، وساحل العاج ،
والسنغال ، وغينيا ، ومالى ، وموريتانيا (شنجيت) ، والمغرب الأقصى ، والجزائر ، وتونس ،
ولبنان ، والحجاز ، والإريتريا .

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته ، وعلى أحبابنا لديكم وذويكم وأصدقائكم ، ونشكره
سبحانه وتعالى ثم نشكركم على ما أنعم الله عليكم من المكارم وجملكم به من الوفاء والأخوة
الصادقة فى الله تعالى .

ونسأل الله عز وجل أن يجزيكم عنا خير الجزاء ، وأن يقبل علينا وعليكم بمحض فضله
ورضاه ، وأن يزيدكم من فضله ، ويمنحكم ما تحبون وفوق ما تحبون من كل خير يرضيه
سبحانه أنتم ومن تعلق بكم .

ولقد وصلنا مصر والله الحمد ، وقد دعونا لكم جميعاً بما نرجو من الله قبوله ، ونرجو الله أن
يجمعنا بكم فى أبرك الأوقات وفى خير البقاع .

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته .

محمد الحافظ التجانى

الزاوية التجانية الكبرى بالقاهرة

فى ٢٧ رمضان ١٣٨٨ هـ

الموافق ١٥ ديسمبر ١٩٦٨ م

نص خطاب الشكر الذى أرسله مولانا العارف بالله سيدى محمد الحافظ التجانى بعد وصوله لمصر .

الرحلة الحافظية للعشرة

لزيارة سيدي الحاج عمر بن سعيد في بنجقرا

الأرجوزة التي نظمها العالم الأديب جامع العرفان أبو المعالي السيد محمد عال بن فتى العلوى الشنقيطى فى رحلة سيدنا ومولانا العارف بالله الشيخ محمد الحافظ التجانى من دكار بالقطر السنغالى إلى جمهورية مالى لزيارة العارف بالله أمير المؤمنين سيدي الحاج عمر بن سعيد الفوتى رضى الله عنه :

يقول عبد ربه محمد	عال الذى فضل الإله يحمد
العلوى نسباً ومذهبه	مالك وللتجاني نسيه
حمداً لمن أمر بالمسير	فى الأرض عبرة لذى التفكير
وبعد فالقصد بذا النظام	رحلة شيخى حجة الإسلام
رحلته كيما يزور الأوليا	العلماء العاملين الأتقيا
فى كل قطر من نواحي العالم	من صحب ختم الأوليا ابن سالم
ولمزار أولياء الله	أصل من السنة غير واه
لما روينا فى صحيح مسلم	من فضل زور مسلم لمسلم
عام (فاز شرق) هذا العام	مبارك عم به السلام
بالحافظ الشيخ التجانى المصرى	ووفده أهل الهدى والنصر
من مصر والحجاز والسودان	مجددين رحلة التهانى

مقدم الوادى الإمام يوسف
ثم المقدم الشريف طه
والثالث المقدم الصديق
والفتية الغر الكرام الحنفا
سليل زين العابدين البانى
فتيان صدق كلهم كريم
هم سبعة عدة أهل الكهف
أقطاب أهل الله والأغواث
محمد عال كذاك المنتقى
يا رب بشر هؤلاء العشرة
واكتب لهم سعادة الدارين
وبرء كل راحل وقاطن
سرنا مع الشيخ الإمام الحافظ
من بعد ما أقام فى دكارا
من الخليفة إلى دار سعيد
بكل وصف فى الكرام يوصف
محمد كم تحفة أعطاها
فهو لنا من قبل ذا صديق
حبيب طاهر ابن موسى المصطفى
بقصره زاوية التجانى
وابن كريم مثلهم عديم
لهفى على فراقهم يا لهفى
ومن دكار معهم ثلاث
شيخ الطريق أكوات معهم ألقا
بجنة يجاه تلك العشرة
والفتح والإيمان رأى العين
من كل داء ظاهر أو باطن
نزهة كل سامع ولافظ
أيام أنس بقيت تذكارا
والناس فى تشيعنا ملء الصعيد

وكلنا إذ ركب القطارا
بات القطار يخرق الأقطارا
ننام والقطار لا ينام
إلى صلاة الصبح جئنا (طنيا)
قبل الزوال بلغ الحدودا
ثم وصلنا (خاي) قبل الظهر
حتى وصلنا سحرأ لـ (بمك)
فيها وجدنا (كرموك) ومدير
فأنزلونا فى مكان سام
ونائب الرئيس قد لقينا
بكل ما يليق من سيارة
سرنا ضحى فى عربات (بمك)
تحفنا الجبال والمزارع
حتى وصلنا (سيغ) وقت الجمعة
وعظهم بعد الصلاة الواعظ
حض على السنة والكتاب

قر على سريره استقرارا
يرجع الأنين والخواارا
وأهله جميعهم قيام
فيها أقمنا ساعة أو أربى
من (مالى) حدا عنهم محدودا
عند الأمين بين البشير الحبر
ولم يفتش ما لدينا الجمر ك
مصالح الشريف من فضل التقدير
وأكرمونا غاية الإكرام
عشية كان لنا معينا
ورفقا كانوا لنا إشارة
سيرأ حثيثاً شأوه لا يدرك
وقولنا فى سيرنا وسارعوا
والله فيها كل خير جمعه
شيخ الشيوخ الأملعى الحافظ
إلى تعلم لغى الإعراب

والسير فى طريق أهل الحق
نزولنا عند (مدان متقى)
أكرم نزلنا مع المناسب
زرنا بها من ينبغى مزاره
وأحمدا نجمل سعيد أخذا
أول ما خط من المدائن
منها إلى (سن) لم نزل نتابع
قلنا بدار الحاكم الذى أراح
حتى دخلنا (مبت) وقت المغرب
فأكرم الوالى بها مثوانا
ثم إلى (بنجر) سرنا قاصدين
ابن سعيد عمر الفاروق
منزلنا عند قریش عاقب
قلنا بدار حاكم البلاد
ثم صعدنا الجبل المزورا
بالجهد والإخلاص بعد الصدق
من ارتقى فى المجد أعلى مرتقى
من سائر الإكرام والمواهب
المتقى الحاج سعيد جاره
عن جدنا الحافظ نعم ماخذا
للدين فى أرض الجوس الخائن
مسيرنا والله نعم الدافع
ثم (مبت) سيرنا سير الرياح
والأرض ملأى لانصباب الصيب
ثم لخير فندق آوانا
آخر عهد بأمر المؤمنين
قطب الزمان الشائق المشوق
وماله من خادم وحاجب
جاء بما يكفى جميع النادى
(دغمبر) الذى يضم النورا

مزارنا للعارف الرباني
نزوره بالمتقى من ولده
حاشاه أن يخيب وفداً جاء
نحن ضيوفه وأنتم ولده
بجاهه نرجو من الرحمن
وحب شيخي أحمد التجاني
وأن يؤوب وفدانا محروسا
زرنا القبور من بنيه الشهداء
مكى وهادى والمنير الماحى
وأختهم مدينة البتول
وقد تبركنا من الذخائر
كسيفه الذى به يجاهد
وسره المخفى عن النواظر
(كنّ) المزور العالم المختار
ورده تبكيّة البكاء
زرناه ضحوة وسرنا القهقري
الاثنين فى (كه) من ربيع الثانى
لكل زائر لنيل مقصده
يجيد فى مديحه الإنشاء
والبحر ليس خائباً من يقصده
الفوز والموت على الإيمان
مد كل عارف صمدانى
من كل سوء لا ينال بوسا
وغيرهم ممن هناك استشهدا
ثم ابن أحمد التجانى صاح
من سميت مدينة الرسول
عند قريش الأمير الناظر
وشعرات للنبي يا جاحد
توارثوه كابراً عن كابر
وديعه الله له إشعار
أدت من البكاء للبكاء
إلى القرى التى تركناها ورا

لنلتقى بما بها من عالم	(كمبت) إذ قلنا بدار الحاكم
متظيرين حلية المسامع	فاجتمع الناس بها بالجامع
وأن يحسن الجميع ظنه	فحضهم على اتباع السنة
كأنها لم تغن قبل ثاوية	ثم بحمد الله مررنا (خاويه)
دل على ما كان من عمارة	وسورها المبني الحجارة
سبحان رب ملكه ليس يزول	زالت عن الملوك هم فيها نزول
لله من قبل كذا من بعد	قد انتهت رحلتنا والحمد
ومن له ينضم دون حصر	رحلة شيخنا التجاني المصري
زاد بمن كان بها حلته	أبو نعيم لو رأى رحلته
باللفظ والمعنى وبالإشارة	نبأ عن الإخوان في الزيارة
خاتم رسل الله من قصي	وصل يا رب على النبي
ما كور الليل على النهار	وآله وصحبه الأطهار

دكار في ٣ جمادى الأولى عام (فاز شرق) ١٣٨٨ هـ .

تحية لمولانا العارف بالله السيد محمد الحافظ التجاني

بزواية حى ود إلياس بالأبيض بالسودان ألقاها مقدم الزاوية التجانية

بسم الله الرحمن الرحيم ، وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم ، وبه نستعين .
الحمد لله الذى نستمد منه العون فى كل شئ ، وهو الذى حمد نفسه بنفسه أزلاً وأبداً وأوجبه
على عباده ، فسبحانه من إله قادر مدبر ، جمل الكون بالعلماء العاملين ، وصيرهم عرائس
الكون لا يعلمهم إلا أهلهم أصحاب الذوق السليم ، أبرز الكائنات على غير مثال يحتذى ،
القائل فى الحديث القدسى : ((كنت كنزاً لم أعرف فأحببت أن أعرف ، بى يعرفنى عبادى)) ،
والصلاة والسلام على سيد الأنام خاتم رسل الله الكرام ، الذى بعث للأمم رسولاً وهداياً إلى
الله بإذنه وسراجاً منيراً ، هدى به من هدى فصار من المفضلين الأخيار ، وأبعد من أباه فسبحانه
من إله فاعل مختار ، وعلى آله هداة الأمة الأخيار ، وعلى أصحابه الذين جاهدوا فى الله حق
جهاده حتى وافوا الله باليقين وفازوا بالنعيم المقيم ، رفعوا راية الإسلام فى سماء مجدها وما
ادخروا فى ذلك وسعاً ، باعوا الله أنفسهم وأموالهم فاشتري الله فأكرم به من مبيع ومشتري ،
فرضى الله عنهم أجمعين والتابعين بإحسان ، ومن حذى حذوهم إلى يوم المزيد .

وبعد ، فإن الله جلت قدرته وتنزهت صفاته وتقدست أسماؤه كان فى أزله ولا يزال كما
كان ، أراد أن يُعرف خلقه بصفات عزه وجلاله ، خلق الكائنات وأرسل الرسل لمن كان فيه
أهلية النظر والاعتبار ، فأرشد كل فى زمانه بما أوتى من التبيين والإيضاح ، فتبع من تبع للخير
وأبى من أبى للشر ، إلى أن جاء شمس الهداية وقمر السراية سيد الأولين والآخرين ، من
تشرفنا برسالته وشفينا من داء الكفر والنفاق باتباع سنته سيدنا محمد صلى الله عليه وآله
وصحبه وسلم ، فكان فى تعاليمه ما فيه الكفاية لمن سلك طريق الهداية ، فورث الرسول
الشريعة الغراء ، فورثه العلماء ، فأكرم من وارث وموروث ، ورث العلم والشريعة لا المال ،
وورثته هم العلماء ، فكان فى تعاليمه ما فيه الكفاية لمن سلك فيه طريق الهداية .

وعلى أن هذا الإرث والاتباع لا بد من رجال يحملون عبء الدين ويوضحون الحق للمسترشد ويفتحون المغلق من المسائل الغامضة فى كل زمان ومكان ، فهنا نحن اليوم نلتقى ونتشرف برجل من رجالات الدين يفخر به العالم الإسلامى أجمع ، وتختص به السادة التجانية أنى كان وحيث كان ، وتجله وتقدره لما تحلى به من غيرة فى الدين والدفاع عنه بما أوتى من الحكمة والموعظة الحسنة ، يغرى به نحور الملحددين والفسقة المارقين ، ذاك هو السيد محمد الحافظ التجانى الواعظ الناصح المرشد الكبير المربى الشهير ، يغترف من بحور العلم أعذبها وأسمائها ومن الدرر أسناها وأغلاها ، يقتبس من الرسول فيرجم به الشياطين الجاحدين المارقين، فإنه من حزب الله وجنده المعلمين ، ألا إن حزب الله هم المفلحون ، قد سبل نفسه الله يجوب شرقاً ومغرباً لا لدنيا يستفيدها بل لإرشاد خلق الله وأنفس كانت هاربة من الله ، فجزيت عن الإسلام والمسلمين خير جزاء وكلاك الله خير كلاء ، وبشرى للطائفة التجانية إذ كان فى طريقتهم وبين أظهرهم كهذا السيد الهمام العالم النحرير الذى يوضح المشكلات بأوضح البيان ، فى سيدى الحافظ عذراً إن قصرت لأنى عاجز أن أقول فى وصفك شيئاً على أنى أرجع وأقول لنفسى :

يا نفس ما لى بشكر نعمائه يدان ولو اعطيت ما للعالم من يد ولسان

فيأيتها العالم الربانى والعارف الصمدانى تحييك تلامذتك طائفة التجانية بالأبيض جميعاً ، وتقول بلسان الحال أهلاً بمقدمكم الميمون ، أهلاً ترى فى شخصك المحبوب لديهم أملاً حميماً ، أهلاً ثم أهلاً ، أهلاً أنزل فى سويداء القلب فقد لقيت سهداً ، فقد تشكرت يا سيدى المفضل جماعة الزاوية التجانية بحى ود إلياس حيث أجتبت دعوتهم المتواضعة ، وتجشمت رجالات أنت ولجنة الزاوية التجانية فى الحضور ، وجميع من لى دعوتهم يزجون لهم أسمى آيات الشكر والسلام فى البدء والختام .

افتتاح الزاوية التجانية بكوستى بالسودان

أقام السادة التجانيون بكوستى بجمهورية السودان زاوية للطريقة التجانية ، وقد كان سيدنا رضى الله عنه يشرف ربوع السودان عند افتتاحها ، فدعوه لزيارتهم وأن يكون افتتاحها بحضوره المبارك ، فلبى فضيلته الدعوة ، وألقى فضيلة الشيخ إبراهيم التجانى حسب الله هذه الكلمة فى هذه المناسبة المباركة يوم ٢٢ أبريل ١٩٦٨ م ، هذا نصها :

بسم الله الرحمن الرحيم ، وصلى الله على سيدنا محمد الفاتح الخاتم وعلى آله وصحبه .
مولاي : أحبيك تحية الإسلام ، وأحیی من معك من الأحبة والمريدين ، وأخص فضيلة مولاي الشيخ يوسف بقوى تحية الإخاء المتماسك بجبل الله المقدس ، تحية تليق بمقدمكم الميمون وبطلعتكم المباركة .

ثم يا مولاي أرجو أن تسمح لى قبل أن أرحب بك وبركبك الكريم ، وباسم الإخوة التجانيين خاصة والمواطنين فى هذه المنطقة عامة أن أحمل إليك من قلوب ملؤها الحزن والأسى وبألسنه يعجزها الإفصاح والتعبير عن تلك الخلجات الحزينة التى تنبعث من تلك الأعماق المكلومة لذلك المصاب الكبير والفاجع الأليم ، وفاة فقيدنا مربى المرشدين وإمام المحققين وسيد السالكين الحفيد سيدى ابن عمر رضى الله عنه ، وتغمده بواسع رحمته ، وجعل روحه ساجدة بين أرواح النبيين والصديقين ، ذلكم الفقيد الذى طوقنا وطوق السودانين أجمعين بتلك الزيارة المشرقة التى زانت تلك الأيام الخالدة التى عاشها فى ربوع بلادنا ، هذه البلاد التى تشرفت بمقدمه وأشرفت بنور بهجته وأسعدت بجمال طلعتة ، تلك الأيام التى قضاه فى ربوعنا بين حنان الأحبة وهيام المريدين ، ناهلين من كؤوس الصفا بين يدي ولايته الكاملة ، شاريين من رحيق المحبة المتدفقة من أعماقه الطاهرة ، مستمدين من فيوضاته وإشراقاته الإلهية التى تجلت فى نور وجهه المتلألئ بقدر ما تجلت فى إرشاداته وتوجيهاته ، تلك الأيام التى كأنما كان حفيدنا

الراحل يحس بأنها كانت ختماً لذلك اللقاء الحبيب ، فهنيئاً لمن لازم بساط أنسه ، وهنيئاً لمن ارتوى من بحر فيضه ، وهنيئاً لمن سعد بالنظر لوجهه .

لكل ذلك يا مولاي ليس غريباً أن نبكى على فقيدنا بكاء التواكل ، نندب سوء حظنا فى فقدته بقدر ما كنا نندب حسن حظنا فى تكرار زيارته ، ولكنه كأس المنون لابد لكل حى أن يتجرعه ، فالله نسأل من خالص قلوبنا أن يجزيه عنا وعن المسلمين خير ما جازى به عباده المخلصين العاملين ، وعزاء لآل بيته ، وعزاء لكم ولنا وللمسلمين أجمعين .

ثم بعد ذلك يا سيدى يجدر بى أن أرحب بك وبمن معك من الزائرين ترحاباً يسعكم فى سويداء قلوبنا كما يسعكم فى ربوع هذه الدار التى تباركت بمقدمكم وتشرفت بكم ، كما تباركتم وتشرفتكم بها ، فنعمت الدار هى ونعم الأهل أنتم ، فمرحباً بكم وأهلاً بمقدمكم .

إننا يا مولاي لنعلم جيداً ونحس تماماً بهذه الأتعاب الجسيمة التى تكبدتموها وهذه المشاق الكبيرة التى تحملتموها استجابة لرغبتنا ، رغم سوء صححتكم ورغم مشغوليتكم وازدحام برنامجكم ، فإننا نعلم ذلك تماماً يا مولاي ، ولكنها المحبة دفعتنا أن نرسل إليك وفدنا أول ما سمعنا بمقدمكم إلى أراضى بلادنا ، أرسلنا إليك وفدنا ليرجوك هذه الزيارة ، الزيارة التى تافت إليها نفوس الأحبة والمريدين منذ زمن طويل ، فهم - والله يعلم - يذكرونك ويحبونك من كل قلوبهم متشوقين إلى رؤياك وملهوفين إلى نور محياك ، ولو كنت تعلم يا مولاي كيف كانت فرحتهم لما سمعوا بقدمك لما ترددت فى المزيد من هذه الساعات التى حددتها للبقاء معهم ، وإننا نرجو وفى أمل كبير أن تستجيب لهذا الرجاء ، هذا الرجاء الذى تنطق به السنة هذه الحشود المتجمعة أمام فضيلتكم ، وتعبر عنه هذه الأعناق التى تطل من وراء الجدران برؤوسها لمشاهدة طلعتكم ، فنرجو أن لا يكون رجاء الخائبين .

أخيراً لا يسعنا يا مولاي إلا أن نمد يد الضراعة إلى الله سبحانه وتعالى شاكرين شكر المخلصين الذى هيا لنا هذا اللقاء ، اللقاء الذى ستظل ذكراه منطبعة فى قلوبنا انطباعاً باقياً ما

بقيت الأرواح فى أجسادها ، كما ستبقى هذه القلوب بإذن الله عامرة بحبكم وحب مشايخنا وإخواننا مادامت الحياة جارية فى عروقها ، كما وإنها ستظل شاكرة ومقدرة لك هذا الصنيع ، فجازاك الله خيراً على ما سعت ، وأمد فى أيامك حجة لأهل الحق ، وحجة على أهل الضلال أولئك المتخاذلون الحاسدون ، أولئك الشامتون الناقمون الذين لا يخلو لهم إلا النيل من عباد الله ، فهم مشغولون بالناس عن أنفسهم لا يتركون حياً ولا ميتاً من أولياء الله إلا سلقوه بألسنتهم ، وأكلوا لحومهم بالغبية والنميمة ، وأذوهم بالسب والأذى ، والله يعلم أنهم لبريئون، فيزيدك يا مولاي حجة عليهم وسيفاً قاسماً لظهورهم ، والحق يعلو ولا يعلى عليه ، وسيعلم الذين ظلموا أى منقلب ينقلبون .

أما أنت يا مولاي بقوى فزادك الله حرصاً على هذه المودة وهذا الإخلاص ، وكفاك فخراً هذه المحبة التى يحنك مولانا الحافظ ، وهذه المنزلة التى تتمتع بها بين المريدين ، حياك الله وبياك .

وختاماً أيها الضيوف أكرر إليكم أسمى عبارات الشكر على مشاركتكم لنا هاتين الفرحتين ، فرحة قدوم سيدى ومولاي حجة الله فى أرضه وسيف الله على أعدائه وقطب أولياء الله فى زمانه سيدى محمد الحافظ ، وفرحة افتتاح هذه الدار التى يشعر إخوانكم بأنها لم تكتمل وهم جادون إن شاء الله فى تكملتها حتى تكون لائقة بالأذكار .

وما أحلى وما أجمل أن يتجه المسلمون إلى تعظيم شعائر دينهم وإلى تجميل بيوت الله وإلى تعميرها بالغدو والآصال ، متمثلين بقول الله تعالى : (فِي بُيُوتِ الَّذِينَ اللَّهُ أَنْ تُرْفَعَ وَيُذْكَرَ فِيهَا اسْمُهُ يُسَبِّحُ لَهُ فِيهَا بِالْغُدُوِّ وَالْآصَالِ ، رِجَالٌ لَا تُلْهِيهِمْ تِجَارَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ)^(١) ، والسلام عليكم .

١ - سورة النور ، الآيات ٣٦ ، ٣٧ .